الفكر أمثال شكسبير (الذي توفى عام 1616 م) الى التغنى بهذه المثالية فى رواية « عطيل » المغربى Othelo التى كانت من آخر ما انتج من مسرحيات (عام 1604 م) وكانت عوامل القلق الوطنى قد حزت فى نفوس الانجليز كما تبلورت أخطاء انجلترا السياسية لا سيما فى آخر عهد الملكة اليزابيث Elisabeth (التى توفيت عام 1603 م) وشجعت احتلال فيرجنيا Virginie احدى الولايات المتحدة الامريكية ، وقد امسى لانجلترا ارتباط قوي بالمغرب ابان احتلالها لطنجة غير انها اضطرت تحت ضغوط المولى اسماعيل أن تجلو عن المنطقة لتحتل (جبل طارق) (عام 1117 هـ — 1705م) وكانت قد تبوات المقام الاول فى التبادل الاقتصادي مع المغرب طوال اربعين سنة ابتداء من 1688 م حيث توقفت العلاقات بين المغرب وفرنسا ، وقد واصل حفيد المولى اسماعيل السلطان سيدي محمد ابن عبد الله علاقاته الدولية مع الخارج فى اسلوب دولى جديد اعتبر بادرة قيمة فى التشريع المعاصر (12) وقد تجاوزت هذه العلاقات الصلات التقليدية الى الدول السكندنافية وانجلترا والولايات المتحدة الحديثة العهد بالتحرر فكان سلطان المغرب المولى محمد بن عبد الله هو أول من شجع الحركة التحريرية الامريكية حيث سارع قبل الجميع الى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة وقد عقد قبل وفاته ببضع سنوات ، معاهدة تجارة وملاحة لمدة خمسين سنة مع الولايات المتحدة وهذه المعاهدة المؤرخة بـ 16 يوليوز 1786 م قد جددت عام 1836 م .

ولكن مما لا شك فيه ان الهجرات اليهودية الى امريكا قد توالت منذ النفى العام بالاندلس ، ولكن بصورة فردية كما تم ذلك منذ استقلال المغرب وتاسيس دويلة اسرائيل حيث هاجرت عائلات يهودية مغربية بكاملها الى كندا والولايات المتحدة وما زالت هذه العائلات تحتفظ بعاداتها المغربية وتستعمل لهجتها الدارجة فى احاديثها المنزلية .

وقد كان للغة العربية عبر العصور تاثير قوي من خلال عامية المغرب والاندلس على العبرية التى بدات تنتشر فى اوربا وامريكا مطعمة بالدخيل المغربى حيث لم يستطع رجالات الفكر اليهود من شراح « التلمود » فهم الكثير من نصوصه الا استعانة باللغة العربية . ودعما لهذه النظرية لا نرى مناصا من رسم صورة عن تطور هذا الرصيد منذ الفتح الاسلامى بالمغرب الى عصرنا الحاضر فاذا كانت النبطية والعبرية لهجتين من لهجات العرب القديمة كما يقول الاستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فان الاسرائيليين قد طعموا بعد الاسلام كثيرا من المعطيات العبرية بعناصر عربية ، فمن المعلوم ان فلولا من اليهود قد دخلت الى المغرب مع البربر النازحين عن فلسطين ثم بعد ذلك بقرون ، عندما تم اجلاؤهم من الجزيرة العربية اثر وقعة (خيبر) ، وقد انضم عدد منهم الى الجيش العربى الفاتح بقيادة طارق بن زياد (13) خلال زحفه على الاندلس ، وتظاهروا فى عهد الادارسة العلويين بالحنين الى مسقط راسهم بالمشرق فتشبثوا برعويتهم للعباسيين تلك الرعوية التى لم تكن فى الواقع سوى مظهر

---

12) وصفه الاستاذ كاييى Caillé فى كتاب ضمنه مجموعة المعاهدات والوثائق التى ابرمها السلطان مع اوربا آنذاك ذاكرا ان السلطان سبق البرتغاليين الى وضع بعض مبادىء القانون الدولى والتشريعات الجديدة التى اصبحت اساسا للعلائق الامية فى القرن العشرين .

13) طوليدانو فى Ner Hamarp

للنفت فى عضد الدولة الاسلامية الناشئة بالمغرب وذلك رغم حماية الادارسة لليهود طوال قرنين (14) حيث انتقلوا الى فاس منذ اعتلاء المولى ادريس الثانى اريكة العرش المغربى عام 188 هـ — متواردين من القيروان ومصر وبابل وفارس ، وقد انبثقت فى القيروان قبل ذلك حركة فكرية تلمودية ما لبثت ان ازدهرت بفاس فى عهد المرابطين والموحدين وان كانت حركة التطهير التى قام بها المهدي بن تومرت وخلفاؤه قد شملت المسلمين والاسرائيليين على السواء عدا الجالية اليهودية بطنجة التى لم يقدر لها أن تخوض غمار الدسائس المرابطية مما يدل على ان القمع الموحدي قد اتسم بطابع سياسى لا اثر فيه لاي عامل دينى او سلالى ، وقد استوطن موسى بن ميمون صاحب « دليل الحائرين » مدينة فاس (15) التى « اصبحت — كما يقول البكري — (16) اكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الآفاق ». وقد استعمل اليهود اللغة العربية فى كتاباتهم ومحاوراتهم منذ القرن الثالث الهجري فى مجموع افريقيا الشمالية (17) كما اصبح كتاب « سيبويه » فى النحو منطلقا لتجديد النحو العبري بفاس (18) منذ القرن الرابع .

وفى هذا العصر نبغ كثير من اليهود بالاندلس والمغرب كان لهم الفضل فى بعث اللسان العبري والدراسة التلمودية ودعم الحركة العلمية من خلال اللغة العربية فقد ظهر حوالى 960 م — 349 هـ ، عالم يهودي اندلسى هو « مناحم بن سروق » حاول ، فى معجم شهير معروف باسم « محبرت » ، الاعتناء بلغة (العهد القديم) فتصدى الحبر الفاسى (دونش بن لبرات) للدعوة الى فكرة جريئة هى وجوب العناية بالعربية والاستعانة بها فى فهم مصطلحات « العهد القديم » وضرب لذلك مثلا بنحو مائتى كلمة عبرية ما كان لاحبار التلمود ان يستكنهوا معانيها لولا رجوعهم الى اللغة العربية . وقد حدث منذ هذا العصر بفاس صراع بين انصار التعريب وخصومه (اي انصار تعريب العبرية) حيث نجد (ابا زكرياء يحيى بن داود حيوج الفاسى) يرحل الى قرطبة اوائل القرن الحادي عشر الميلادي للاقتباس من آراء مناحم المذكور ، وقد تزعم الحركة الهادفة الى احياء التراث العبرى فكان بحق المؤسس الاول لعلم « فقه اللغة العبرية » وقد استطاع بفضل ضلاعته فى اللغة العربية تركيز قواعد العبرية التى استكمل نقصها بالمصطلحات العربية (ابو الوليد مروان بن جناح القرطبى) المولود فى النصف الاول من القرن الحادي عشر والذي الف كتاب « التقريب والتسهيل » كما عالج القواعد العبرية فى كتابه « اللمع » واعتمد فى « كتاب الاصول » مؤلفات عربية كخصائص (ابن جنى) فى فلسفة اصول الكلمات وتخريجها التخريج اللغوي السليم . ومن آثار العربية فى اللسان العبري ما لاحظه (يهودا بن تبون) مثل كلمة « فاهم » التى اصبحت تختم بها الرسائل والكتب العبرية وصيغ عربية كمتفلسفة (متفلسفيها) ومتكلمين ، ولعل اول من وضع كتبا فى قواعد اللغة العبرية هم يهود العراق ، كما ان اول من وضع

---

14) كما اعترف بذلك حبر الجزائر الاكبر موريس ايزانبيث . Maurice Eisenbeth

15) حيث كان يسكن الدار المعروفة بدار المجانة حسب وثيقة يهودية عثر عليها بفاس يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر الميلادي . Chronique Semach p. 83

16) المسالك والممالك ص 115

17) تاريخ المغرب — كودار ج 2 ص 453 "Godard"

18) ماسينيون Massignon مجموعة البحوث والمحاضرات — مؤتمر مجمع اللغة العربية 1959— 1960 — ص 218

معجما لغويا عبريا هو الحاخام سعديا (19) الفيومى المصري (892 ــ 942 م) وقد لقت « يهودا بن قريش » صاحب كتاب « فقه اللغة المقارن » (Philologie comparée) يهود الشمال الافريقى الى وجوب المزيد من العناية بالعربية ، تعزيزا لفهم أسرار العبرية والعهد القديم ، ووضع قاموسا عبريا لم يصلنا ، بينما وضع معاصره « داود بن ابراهيم » الفاسى قاموسا سماه « أجرون » يحمل نفس الاسم ويتسم بنفس القيمة مع شرح بالعربية للالفاظ العبرية وكان «يهودا بن قريش » يستشهد فى مؤلفاته بالشعر العربى (20) كما سار ابن جناح وخلفه فى تصانيفهم على منوال اللغويين والنحاة العرب وقلد « الحريزي » مقامات « الحريري » فادخل فى الادب العبري فنا جديدا لم يكن لليهود به عهد ، وكذلك الامثال العربية ، وقد ترجمت اسرة « تبون » الى العبرية عديدا من الكتب العربية فى الفلسفة والطب والرياضيات والتصوف الشعبى ، أما « اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسى » ، (الذي ولد عام 404 هـ ــ 1013 م) فى (تلمة ابن أحمد) قرب فاس وتوفى بالوسينة بالاندلس عام 497هـ (1103 م) فله شرح على التلمود فى عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من اهم كتب التشريع التلمودي وله ايضا ثلاثمائة وعشرون فتوى محررة كلها بالعربية وقد اسس بالوسينة قرب غرناطة عام 1089 م معهد للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات .

وقد توافد على المغرب من الاندلس يهود كثيرون فرارا من اضطهاد رجال التفتيش المسيحيين فعززوا الحركة الفكرية العبرية والتلمودية والتحق بهم يهود آخرون طردوا من ايطاليا عام 1242 ومن انجلترا عام 1290 م ومن هولندا عام 1350 م ومن جنوب فرنسا عام 1395 م بالاضافة الى من هاجر منهم بعد النفى العام حيث انتقلت الى المغرب فلول اخرى من فرنسا وانجلترا عام 1403 م ومن اسبانيا عام 1492 ومن البرتغال عام 1496 م فانتشرت جاليات يهودية فى السهول والجبال والصحراء المغربية واستقرت عائلات اندلسية بكاملها فى ناحية دبدو (جنوبى غرب وجدة) وانسع فى فاس نطاق البيع والمدارس التلمودية (21) .

وقد ظل يهود المغرب يدرسون العربية ويكتبون بها على غرار يهود الاندلس حيث انتهى (يهود بن نسيم بن مالكا) الفيلسوف المغربى عام 1365 م من تاليف كتابه بالعربية « أنس الغريب » (22) وكذلك شيخ التعاليم بفاس (خلوف المغيلى) ، الذي نزل عنده ابو عبد الله الآبلى العبدري شيخ ابن خلدون قبل ان يرتحل الى ابن البناء بمراكش(23). تلك صور حية تبرز الدور الهام الذي قامت به المدارس اليهودية بالمغرب لتعزيز العلوم عامة والدراسات التلمودية خاصة من خلال اللغة العربية علاوة على دعم اللسان العبري باصول العربية وقواعدها ، ولا تزال لغة اليهود الى الآن فى الحواضر والبوادي المغربية هى العربية ، اعتراها ما اعترى العامية

---

19) أبو سعيد بن يوسف الذى يعتبر واضع الفلسفة اليهودية فى العصور الوسطى ، وقد صنف ترجمة عربية للعهد القديم واستكمل قانون الميراث اليهودي مستعينا بالشريعة الاسلامية .

20) « محاضرات من الادب العبري » للدكتور فؤاد حسنين على ــ طبعة الجامعة العربية 1963 ص 147 .

21) حسبما رواه مؤلف (Yahas Fes) بالنسبة لعام 1508 .

22) (458ــ402 ، 1952) (Hesperis) وعام 1365 م يوافق 5125 من السنة العبرية .

23) طبقات الشعرانى ج 2 ص 215 .